من أحلوى ذكرياتي الشبابية توجد خبرة التطوّع التي قمتُ بها مع والدي في المكسيك قبل سبع سنوات. إنها هذه الخبرة التي شكّلت الى حدٍ كبير واعتي حول العالم خارج الولايات المتحدة و الظروف الصعبة التي يعيشها معظم الإنسان. في تطوعتُ للشغل مع جماعة مسيحية تحت رعاية كنيسة والدي لفترة عدة الأسابيع أثناء الصيف عام 2003، و تضمّن الشغل المساعدة في بناء بعض المنازل و المبانئ السكنية الأخرئي لصالح الفقراء و المتشردين في منطقةٍ معزولة جنوب مدينة تيوانا التي تتعرض اكثر من مناطق أخرئ الى الحرارة المرتفع و الجفاف المستمر. فأتذكر بكل وضوح أن قراري للالتزام بالمشروع المعهود لم يتم الوصول اليه سريعاً، و فعلاً كان والدي قد حاولَ اكثر من شهر إقناعي بالموافقة، مشدداً على ان الفوائد الروحية هي لا نهائية +لها بعد إكمال مشروعٍ مثل هذا، فإنها لم تكن المرة الأولى التي تطوع فيها والدي لنفس المشروع. لذلك كان عند والدي اكثر من نقطة ال+لاتصال في منطقة العمل، فإقتنعتُ و تعهدتُ بالمشاركة و اخيراً ذهبنا الى المكان لبدء ستة أسابيع عمل تحت الشمس القاسي.

تعرفتُ على المتطوعين الآخرين و وجدتهم كلهم أطيب ناس في العالم. بالتأكيد مثل هؤلاء الناس الذين يضحّون كثيراً لمساعدة الفقراء أنا أحترم+هم بهم أكثر مما أستطيع أن أصفه. عاشنا في مبنئ صغير قد شبه الثكنة العسكرية التي كلن سلكن فيها الجنود المكسيك في القرن التاسعة عشر. , لحسن الحظ وجدتُ أن الاستراتيجي+ة الذي يستعمله مديرو الجماعة هو يقلل من ضرورة العمل تحت الشمس مباشرةً فقد بدأت ساعات العمل في الرابعة صباحاً و إستمرت الى التاسع+ة قبل الراحة الطويلة من التاسعة الى السادسة مساءاً. في الساعة السادسة و حتئ الثامنة كنناكنّا قد نشتغل مرة ثانية و هذه المرحلة الثانية من أجل تنظيف أماكن العمل و تخزين الادوليت و الاجهزة فقط.

في النهاية أتذكر أن مشاعري تراوحت بين الفرح و الحزن. إكتشفت أن بعد مثل هذا العمل يشعر ال+واحد بنوع من ال+خيبة الامل و هذا من طبيعة ال+إنسانه. هذا مشعور خبرته أنا و والدي سلويةً لسببٍ أدركته فيما بعد و هو أن بالرغم من كل الجهود التي يبذلها الإنسان لمساعدة الأخرين، ما يزال العمل هذا دائماً أقل من ال+لازم. فالمرحلة من المشعر بالاحباط كانت لسخرية القدر اول شئ أتذكره في ظل العنل التطوعي في المكسيك، غير أن في ال+أعوام الأخيرة التي مرت بعده إكتشفتُ أن هذا مشعر يختفي و في النهاية يندثرتماماً، و الذي يبقى هو الإرضاء و السلام الروحي الذي وصفه والدي في البداية. أعرف أن نتيجة العمل الخيري دائماً تبرر الجهود.